الإيجاز التّثويري للقرآن

د. مشكور كاظم العوّادي

جامعة الكوفة

المقدّمة

إن الإيجاز هو البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ ذلك أنه تحشد للحيز النصي بأكبر ظرفية ممكنة للمعاني المتثورة فيه والقابلة للاستظهار.. إذ تتجلى غايته في إلفات نظر المقابل وجلب تنبهه بالبيان الصادع الفائق، لذا اتهم رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله بادىء ذي بدء -بأنه شاعر أو كاهن أو ساحر- لأنّ هذا الاثر ظهر أولا بقوة الإيجاز، عندها كان الإيجاز داعما لسحر الكلمة في النفس، وقد عبر المشركون عن هذا الأثر اللاشعوري بجهالاتهم : سجدنا لبلاغته، والحق أنّ السليقة قد أخذتهم لقبوله ليس غير لأنّهم كانوا مشركين. ومن هذا الباب فإنّ الآلية الإيجازية لهي المحك او الأساس لتثوير الملامح الكامنة في الإعجاز، أي ان تسفير وجه الإعجاز ووضوحه لا يتم الا بالإيجاز النسقي و البياني الموجه، ويعني هذا الإيجاز انه لا تحصل نكتته الإعجازية ان كان عبثا إذ التوجيه النصي هو ان القرآن له غاية ورسالة تبليغية منطوية في كلمات النص قد تكون نكتة عقائدية او موعظة او حكمة فهذه كلها هي المعضدة لتشريق وجه الإعجاز في صفحات القرآن. وإذا ما نظرنا بدقة من الوجهة الرياضية التحليلية فهناك علاقتان تقابليتان بين أصغر حيز مكاني وأكبر تثور معنوي، وهذا يبدو للوهلة الأولى متناقضا مع البديهة المنطقية التي تقول: انه كلما زادت الألفاظ تكاثرت معانيها، وإن الجزء لا يمكن أن يكون اكبر من الكل ولكن هذه البديهة تتحطم في القرآن على رواسخ الاعجاز وثوابته البينة، وعنده يمثل سحر البيان ناتجا اثريا تفاعليا لتواصل الإيجاز الحسي مع الإعجاز الغيبي للقرآن او بمعنى آخر، إنّه يتبدى من خلال السلم التواصلي بين ظواهر القرآن وبواطنه، وبذا تتسق من هاتين القوتين قوة سحرية نصية آخذة بمجامع القلوب ولباب العقول، وعندها تتحقق مقوله: إنما الإعجاز هو إيجاز الأساس لأنّ الإيجاز يبلور الإعجاز على نحو دقيق وجلي...ولمّا كان الإيجاز ميدانه النص فإنّ ما يفيض عن ذلك من اجتهاد بشري تفسيرا كان أو تأويلا فهو يخضع لقوانين الرتبة الثانية إذ يمثل النص الرتبة الأولى او بمعنى آخر، فإن الآيات القرآنية بحدودها تمثل الرتبة الأولى، وبالظلال والطروحات الهامشية تمثل الرتبة الثانية، والإيجاز يتسرّى سريان الإعجاز فهو يقع في الآيات وفي الظلال حيثما وقعتا.

من هنا فإنّ ما اوجز وابتسر او حصر في نص قرآني واحد يختلف نمطا عن المكرر المستعرض من عدة وجوه فذلك على وفق الحكمة الإلهيّة والابانة القرآنية التي لا يرقى الشك إلى صوابها وعمق فحواها.... فإيجاز بعض الموضوعات او اسهاب بعضها يرجع إلى ان ذلك قد يصيب به مكامن الاستثمار والتأويل والتثوير (وهي الفواصل المحاطة بنوع من السرية إذ يبتعد القرآن عن تكرارها) لخصوصيتها الفريدة او لثبوت مناطها كما هو حال آيات الاحكام، ولكنا نجد أن القص القرآني مختلف عن ذلك، فقد تذكر القصة كثيرا كقصة موسى عليه السلام وقد تذكر مرة واحدة حين تستقصى من البداية إلى النهاية كقصة يوسف عليه السلام ... في حين نجد تكرار موضوع الوحدانية أو (لباب القرآن) وما يجري في اطارها تكرارا مستفيضا، وهي بذلك الأكثر تصرفا وشيوعا في ضوء المعاني التي تكررت في القرآن.

إذن الإيجاز - كما سنرى - عنصر رئيس في البلاغة الإعجازية على وفق مقتضى النص ومهمته البيانية ذلك انه يختزل الحيز المكاني للنص مع بلوغ الغاية نفسها وهذا مدلول واضح على أنّ النص ذا السمة الإيجازية ابلغ من النص ذي السمة الاعتيادية وعندها فالإيجاز وجوداً هو العنصر الجوهري للبلاغة... لذا فمقامه الارفع ووظيفته العليا تتعاضدان في النص القرآني إذ ينبسط ناشرا جناحيه بطرائق بارعة تتألق في وقعه الشديد مع البلوغ المباشر من خلال انضاج النص بأسرع مدة ممكنة واختماره في ذهن المتلقي محققا بذلك الأهداف الايمانية والتربوية في مكنون النص القرآني.

1-إيجاز القرآن وأنماطه:

الإيجاز لغة: هو الاختصار والتقصير في جميع ابوابه: قال ابن منظور: (وجز الكلام وجازةً ووجزاً وأوجز: قلّ في بلاغة وأوجزه: اختصره ... يقال أوجز فلان إيجازا في كل أمر، وأمر وجيز وكلام وجيز أي خفيف مقتصر... وأوجزت الكلام: قصرته)[1]. وهذا يعني أن اللغة هي الوعاء او الظرف لتنجز آلية الإيجاز... أمّا اصطلاحا فقد قال العلوي: ومعناه في اصطلاح علماء البيان : (هو اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل وأصدق مثال فيه قوله تعالى: (فاصدع بما تؤمر){الحجر: 94} فهاتان الكلمتان قد جمعتا معاني الرسالة كلها واشتملت على كليات النبوة وأجزائها...)[2].والإيجاز هو (أداء المقصود بأقل مما يليق المقام) فالأقل لا يعني من الناحية البنيوية عدد الكلمات وتدوينها بل قد يكون في المعنى الذي تتطلبه المقاصد القرآنية. والإيجاز هو الاختصار وان كان تقليل اللفظ مطلقا ولا فرق عند السكاكي لأنّه أحد وجوهه[3]، فالاختصار هو الإيجاز البنيوي، والإيجاز المعنوي هو الرديف المكمل للصورة الإيجازية التامة. والإيجاز نسبي (بمطابقة مقتضى الحال ظاهرا وباطناً) فهو يطابق مقتضى الحال ظاهرا وذلك بالبنية أي بمساحة النص، وقد تنوع القرآن في ايراد الإيجازات من هذا النوع كقوله تعالى: (.. أليس الصبح بقريب)[4] ثلاث كلمات هي بمقام التهديد الذي لا يمكن ان تحشده بمقالة تهديدية كاملة.. وعلى هذا يكون إيجاز القرآن جملة من الاختصارات اللازمة للبلاغة العالية بحيث يأتي غير منفك عن جزالة النص القرآني ومتانته بمعنى أنه لا يخل بروعة البلاغة القرآنية ورشاقتها. أما موافقته لمقتضى الحال باطنا او تأويلا فهو الذي يصيب المعاني فيقوم بتركيزها من الناحية الذهنية وهذا هو مناط التثوير لأنّ الباطن دفين ويحتاج إلى الية لاستخراجه، وعندها يكون الإيجاز الظاهري معينا دالا او معنى معضدا للدلالة عليه. وأن المعتبر في الإيجاز هو المعنى الذي قصد المتكلم افادته للمخاطب فالإيجاز الحكمي وهو ما تتطلبه حكمة المتكلم فالله سبحانه وتعالى يريد أن يرفع المستوى الذهني للإنسان إلى مستوى قرآنه العظيم وليس صحيحا ما يشيعه اصحاب الاهواء أنّ القرآن يتساوق وفهوم العامة كي تتم الرسالة ذلك: (ان الله سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا القرآن فإنه حبل الله المتين وسببه الأمين وفيه ربيع القلب وينابيع العلم وما للقلب جلاء غيره...)[5].

وقولنا إن الإيجاز حكمي أي منوط بالحكمة اسهابا او تركيزاً؛ فما يتصوره العقل البشري استطرادا وما يتخيله إيجازا ربما لا يكون كذلك في النص القرآني لأنّ الحكمة الإلهيّة اعلى وأوسع من الاستيعاب البشري للنص، فاستبدال عبارة قرآنية بكلمة واحدة افتراضية لا يعني حصول خلل في الإيجاز بل ان هناك لوازم دلالية عديدة تطلبت هذا التركيز في دلالات النص . ومما اورده الرماني من تعريفات للإيجاز قوله: (والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الالفاظ، والإيجاز اظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير، والإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان،

والإيجاز تصفية الالفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن...)[6].وأجد أنّ تعريفه للإيجاز (تهذيب الكلام بما يحسن به البيان) هو الاقرب في هذا الباب لأنّ التهذيب تكميل فائق لما قد يتعاور الكلام من هنات، هنا وهناك، والقرآن الكريم منزه عن ذلك بطبيعة الحال فيكون تهذيبه رفع رتبته الكمالية إلى المستوى المعجز بيانيا ويعلق الدكتور ابو موسى على كلام الرماني فيقول: (وكل هذا يؤكد في الإيجاز أمرين:

الاول: الوفاء بالمعنى... بدقائقه.. وخصوصياته والبلاغيون حينما يتكلمون عن المعنى في مثل هذا السياق لا يريدون الغرض العام لأنّ ذلك يؤدى بأي كلام او بالاشارة والحال والعلامة والمقصود بقول الرماني: من غير اخلال بالمعنى أي من غير اهمال لخصائصه ودقائقه.)[7].

فالإيجاز -إذن- لا يتخلى عن خصوصيات النص وعندها يكون غير مخل بالاصول الاساسية المبتني عليها ذلك النص بل يقوم (بضغطها) إلى اوجز مساحة نصية مع الاحتفاظ بكامل طاقتها التثويرية والتنويرية. نقف في توضيح ذلك عند قوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون.)[8]. فالغرابة من التبادر الأول للنص في تناقضه إذ إن القصاص يمثل قتلا في غالب الاحيان فكيف يكون مدارا للحياة، وهنا يقول الزمخشري: (كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة، ومن اصابه محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لأنّ المعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة)[9]. ويقول الفخر الرازي في احدى مسائل الآية: (اتفق علماء البيان على أن هذه الآية في الإيجاز مع جمع المعاني باللغة بالغة إلى اعلى الدرجات وذلك لأنّ العرب عبروا عن هذا المعنى بالفاظ كثيرة كقولهم:قتل البعض احياء للجميع، وقول آخرين: اكثروا القتل ليقل القتل، واجود الالفاظ المنقولة عنهم في هذا الباب قولهم: القتل أنفى للقتل ، ثم إن لفظ القرآن افصح من هذا وبيان التفاوت من وجوه...فظاهره قولهم باطل ، أمّا الآية فهي صحيحة ظاهرا وتقديرا، فظهر التفاوت بين الآية وبين كلام العرب.)[10] وهذا مما لا شك فيه لأن الآية كلام الله المرسل الموجّه وهي تخاطب ذوي اللبّ، والكلام العربي لا يخاطب أحداً إذ ليس فيه قدسيّة الكلام الالهي ولا اشارة إلى من هم أولى به. وعلى ما تقدم نجد ان الإيجاز القرآني يمتاز بالدقة والاستيفاء المعنوي اي كلما تقلص النص حيزا توسع الاستيعاب المعنوي تحشدا، وهذامن دقائق البيان وسوانح البلاغة. والامر الثاني الذي ذكره الدكتور ابو موسى قوله (الاقتصاد في اللفظ وهذا يعني البراعة في استخدام الكلمات القليلة وادارتها في هيئة خاصة تفي فيها بالغرض...)[11]. ومن هنا فالبراعة في إيجاز القرآن هي ومضة الهية تستحصل من فحوى النص بما يتسق والقصد الاخلاقي والتربوي، فهي صنو الفصاحة والبلاغة والبيان في اتقان الكلام بحسب اصوله. نقف في هذا الامر عند قوله تعالى : (اولئك لهم الأمن)[12]. فالإيجاز هنا اشاري لورود (اولئك) مع التفجر المعنوي الحاصل من تركيب ثلاث كلمات ليس غير، فلو شرحت لاحتجت إلى ما لا يقل عن صفحتين لاستيعاب معنى الأمن والإيمان، وهذا من المزايا الباهرة لاسماء الإشارة إذ (إنها تعين المتكلم على التركيز والإيجاز وتفادي التكرار.)[13].وإنّ للإيجاز جزأين مصحفي ومعنوي، او مادي يتصل بالمبنى ومعنوي بتدخل الإعجاز... وهذا في ضوء تنوع النص إلى شكل ومعنى فكذلك انقسم الإيجاز لكونه من اركان البيان: إلى إيجاز معنوي وإيجاز بنيوي: فالإيجاز المادي يقع في خانة الرسم المصحفي وهو كما نعلم خط منفرد لا يساوقه أي خط كتابي آخر والكلمة المصحفية يجب ايرادها بلازمة خطها ولا

يمكن كتابتها على نحو آخر ومعنى ذلك أنّ رسم المصحف كما يقول الدكتور عبد الصبور شاهين : (قد اكتسب حصانة جعلته اساسا في قبول القراءة او رفضها وهو موقف ساعد فيما نرى على صون الكتاب الكريم من أي تحريف ينشأ عن اختلاف النظم الاملائية والرسوم الخطية.)[14].وهذا الخط الخاص كما قلنا متحشد بالحذف والاختصار والاستبدال وكثير من الطاقات الاختزالية، نظرا لأنّ الإعجاز بالآلية الأولية ينحو نحو التحشيد والتركيز لجمع العناصر المفضية إلى الهدف، وعندها يستجمع القصر والادغام والحذف ليختزل المكان الاملائي (المادي) إلى اقصى مدى ممكن؛ كاستبدال الالف بالمقصور والحرفين بالشدة... وغيرهما.وكل اختزال يتناول البنية التركيبية للكلمات فهو من صميم الاختزال المادي لأنّ قصدنا بالمادة هي عينية الحروف وطريقة كتابتها، ذلك ان الحروف مادة الكلمات. وإنّ هذا الإيجاز المصحفي هو من طبيعة الكتاب وإنه غير محرف ، فلو كان محرفا لتلوعب بالخط والرسم الكلماتي وهذا دليل على الحفظ، وبذا فالانحفاظ شامل بالمعاني والمباني والرسم الكلماتي، فكلمة (ذلك) إيجاز مادي باخفاء الالف وعدم اظهارها. أمّا الإيجاز المعنوي فهو اكثر انفتاحا ونزوعا نحو تحري تفسير النص والتبصر به وهذه لا تستحصل فيما لو كان النص غير موجز ، وهنا يكمن التثوير المعنوي، لذا غالبا ما يكون الإيجاز من هذا الجزء وعندها يكون الإيجاز المادي اداة مساعدة لتقريب مآرب المعنوي الذي هو اكثر انتشارا في تضاعيف الآي القرآني لأنّه الأوسع محاكاة للمطلب والأقوى تمثيلا للحدث، نقف مثلا عند قوله تعالى: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)[15].يقع الإيجاز في هذه الآية حول كلمة (جناح)، فهذه اللمحة التصويرية تستوجز مئات الشروح عن هيأة التخاضع للوالدين وكيفية كونها؛ فالجناح المهدل تذللا للطائر هو ادل آيات الخضوع والطاعة... ولكنه عندما ينشره تبدو قوته وانفته وهي لا تليق بهكذا موقف. اما علاقة الإيجاز بالحذف فهي جد وثيقة، يقول ابن جني: (قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه وإلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته)[16].وهنا يشار الى الحذف برمز مناسب للتدليل عليه...أمّا الذي لا دليل عليه فلأنه في حيز الاعجاز يقع وفي مطاوي الغيب يستوضع.فالإيجاز لا ينافي الحذف، ومن هنا فلدينا عنصر آخر لتقليص النص هو الحذف التقنيني كحذف الحروف في الرسم القرآني او الحذف المعنوي والاعرابي في بعض أركان الجملة أو الحذف النطقي كالادغام وغيره، وهذه كلها تسهم في تحقق الإيجاز وذلك بتقليص الحيز المكاني للنص ولكن الإعجاز يسبغ على الإيجاز المسحة الاختزالية المعنوية التي يكسبها ثراء وإضافة في الوجوه والصور والاحتمالات وهو التدخل الغيبي في التنزيل القرآني بموجب التفنن او الحكمة الإلهيّة إذ يتدخل الإيجاز تدخلا مباشرا في صياغة تصاريف الكلام. يقول العلوي: (اعلم ان مدار الإيجاز على الحذف لأنّ موضوعه على الاختصار وذلك إنما يكون بحذف مالا يخل بالمعنى ولا ينقص من البلاغة بل اقول لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام عن علو بلاغته...)[17].من هنا قسم البلاغيون الإيجاز على وفق ما فرضت متطلبات البلاغة نفسها على تلك القسمة على إيجاز قصر: ويكون بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف او هو اتساع الالفاظ القليلة للمعاني المتكاثرة والاغراض المتزاحمة لا على حذف بعض كلمات او جمل، وإيجاز حذف: ويكون بحذف كلمة او جملة او اكثر مع وجود قرينة تعيّن المحذوف ، او بعبارة أدق؛ فالإيجاز بالقصر هو ما أصاب المعاني تركيزا واختصارا ، والإيجاز بالحذف هو ما اصاب المباني اختصارا وتقليصاً بحذف بعض العناصر الاعرابية او اركان الجملة التي لا تخل ببلوغ الهدف المقصود بل (يفيد

العبارة قوة وامتلاء)[18].وهذا ما تساعد عليه قواعدية اللغة العربية وأعرافها.. فإيجاز القصر مؤداه استيفاء الكلام بأوجز مساحة وأكثر معان بما يتواءم وبلاغة الإيجاز ونجعة الكلام، وهو يتنافى وإيجاز الحذف لأنّ الخلل قد يقع إذا اجتمعا: فاحدهما يكفي في الجانب المعنوي في حين يتكفل الثاني العملية الإيجازية في الجانب المادي. ومما جاء في فهرس أسرار البلاغة قوله: (ومما يجب ضبطه هنا ايضا: (إنّ الكلام إذا امتنع حمله على ظاهرهِ حتى يدعو إلى تقدير حذف او اسقاط مذكور كان على وجهين:

الأول ان يكون امتناع تركه على ظاهرهِ لأمر يرجع إلى غرض المتكلم ومثاله الآيتان {(وسئل القرية)[19]والأصل أهل القرية (وليس كمثله شيء)[20]والأصل ليس مثله شيء}.

الوجه الثاني: ان يكون امتناع ترك الكلام على ظاهرهِ ولزوم الحكم بحذف او زيادة من اجل الكلام نفسه.. وذلك كنحو ان يكون المحذوف احد جزئي الجملة كقوله تعالى: (فصبر جميل)[21] : لابد من تقدير محذوف ولا سبيل إلى ان يكون له معنى دونه سواء كان في التنزيل او غيره...)[22] وعلى هذا نقول: في الآية الأولى هناك تزاوج بين الحذف المعنوي وحذف مذكور كامل كان النص يتطلب وجوده ولكن حذفه اعجازيا لم يؤد إلى اخلال لأنّه قد سد مسده بالسياق العام المفضي إلى المطلوب ولو بدون المذكور. أما الآية الثانية، فإنّ الزيادة ظاهرة بالنسبة للمفهوم البشري وهي ليس كذلك من الوجهة القرآنية، التي تؤكد انه ما من مزيد الا بمعنى ولا بناقص إلا بإضمار وهذا معناه ان الزيادة تؤول من الإيجاز الإعجازي.. وتستلزم الآية الثالثة إكمال التقدير لها من بعض الحذوفات وهذا جار مع قواعد العربية، وعندها فالاضمار من آليات الإيجاز فقد تحذف جملة كاملة على ذمة التقدير. ومن أهم أنماطه القرآنية القصدية او الغائية: الإيجاز الحرفي وهو إيجاز فرض وجوده في القرآن (بالحروف المقطعة): وهي حروف دالة على اسماء اخذت منها وحذفت بقيتها كقول ابن عباس وغيره... {في احد وجوه تفسير (الم):} الألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد صلى الله عليه وسلم...) {وقيل: إنها تؤدي عن معنى..}، واختار هذا القول الزجاج وقال: أذهب إلى إن كل حرف منها يؤدّي عن معنى وقد تكلمت العرب بالحروف المقطعة نظما لها ووضعا بدل الكلمات التي الحروف منها كقوله : فقلت لها قفي فقالت قاف، أراد قالت: وقفت)[23].

هنا إيجازها من الملازمة الشديدة بين الإيجاز والاشارة فكلما زاد الاستيجاز نحت الكلمة نحو الاشارة اكثر حتى إذا ما اقتصر على الإيجاز بالحرف الواحد -كما في المقطع- تحولت الطاقة المعنوية كلها التي في الكلمة إلى طاقة اشارية مبهمة في الحرف المقطع الواحد والكلمة عامة...فمثلا قوله سبحانه وتعالى: (ق والقرآن المجيد ۞ بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب)[24]. فالحرف المقطع بحد ذاته تجريد شديد وهو اقصر ما يمكن ان يكون عليه الكلام، فالمقطع يقع ضمن الإيجاز المادي لأنّه تقطيع حرفي وسلب معنوي هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فالإيجاز المعنوي في الآية هو تثويرها لمعان كبيرة في اوجز حيز نصي.

ومن هنا فالإيجاز الحرفي هو ان تنحو الكلمة نحو الاختصار حتى درجة الحرف الواحد إذ تزداد درجة الاختزال محققة وجازة التعبير فالحرف اوجز المقامات في التعبير ولكن بثمن باهظ حين يخلو من المعنى ولكنه يبقى شاهدا على اللغة بوصفها كلاً من حيث انه يمثل اللبنة الأولى للوضع اللغوي وهذا مدلول رمزي على اساس البناء الأولي ولو افتقد إلى معنى الدال، فهذا الشاهد ضريبته افتقاد المعنى وعندها فالتيسير نحو الحرف المفرد

يتواكب مع سلب المعنى منه ليبقى شاهدا مجردا على اصل اللغة فقط. وقد يقع هذا الإيجاز القرآني بالحروف غير المقطعة وهو كثير وذلك حين يتحول الحرف إلى حركة بدليل الرسم المصحفي وبذلك فالحركة تجزيء عنه وتحذفه لأنّه يصبح غير ذي وظيفة وهذا نوع من الحذف الإيجازي: يقول ابن جني في مثل هذا الحذف: ((... وإذا كان الحرف لا يتحامل بنفسه حتى يدعو إلى اخترامه وحذفه كان بأن يضعف عن تحمل الحركة الزائدة عليه فيه أحرى وأحجى وذلك نحو قول الله تعالى: (والليل إذا يسر){الفجر:4}و (ذلك ما كنا نبغ){الكهف:64}...))[25].ومن إنماطه ايضا الإيجاز الكلماتي وهو الإيجاز الذي يتم عبر التعبير المختصر والتركيز الدلالي وذلك للوصول إلى الهدف باقصر الطرق وهكذا يتراءى لنا القرآن الكريم شبكة من المعابر النظامية المنفتحة على افق الزمن بما يتواكب وتثويراته وتصريفاته المتجددة.. نقف لملاحظة هذا النمط - على سبيل المثال- عند قوله تعالى: (... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)[26].يقول الباقلاني: ثم راع المقطع العجيب وهو قوله (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) هل يحسن أحد أن يأتي بمثل هذا الوعيد وأن ينظم مثل هذا النظم وأن يجد مثل هذه النظائر السابقة ويصادف مثل هذه الكلمات المتقدمة؟)[27].ويستشف من هذا المقطع جانبان: الاول هول الوعيد وضخامة ما خبيء للظلاّم من مآل وخسران، والثاني وجازة التعبير في الاشارة لما ضمن اولا. فقد ضمن الإيجاز في هذا المقطع القرآني طاقة معنوية كبيرة هي سمة الإعجاز المهمة في الإيجاز أي أنّ الجملة القرآنية تصل إلى مقاصدها باسرع وقع نصي واقصر اسلوب تعبيري وأدقّ العبارات بحيث يتعذر على الآخرين الوصول بمثل هذه السرعة وذاك القصر، وتلك الدقّة، ولو حاولوا بلوغ المقصد نفسه لاحتاجوا إلى نص مضاعف وهو إعجاز في الوقت نفسه....

وعلى ما تقدم: فإنّ هذا الإيجاز هو إيجاز في عدد الكلم مع تثوير في جانب المعنى وعندها يصبح النص حمالا لوجوه كثيرة بحسب الغاية التي يهدف إلى بلوغها...ومن أنماطه الإيجازية الإيجاز القصصي، إذ تكون القصة شاهدة على ذلك الإيجاز لأنّها مفعمة بالمعاني والعواطف والانفعالات باقصر تعبير، ولتوضيح ذلك نقف عند بعض النماذج القرآنية التي تبين أحوال هذا الإيجاز ومراميه وتنوعه بين الحذف والمناقلة والتضمين... يقول ابن ابي الاصبع المصري: (اعلم أن الإيجاز على ضربين: ضرب طويل، وضرب قصير، والطويل طوله بالنسبة للقصير منه لا لغيره من الكلام، كما جاءت قصص الأنبياء عليهم السلام واحسن ما جاء منها قصة يوسف عليه السلام فإنها جاءت على الطريقتين في سورة واحدة، وان كان غيرها من القصص قد جاء كذلك لكن في غير باب الإيجاز، لأنّ غيرها من القصص لم يأت على الطريقتين في سورة واحدة، وقصة يوسف جاءت على الطريقتين في سورة واحدة...)[28].فآلية الاجمال والتفصيل متواردة في هذه القصة فقد جعلها سبحانه وتعالى مبسوطة لمن لم يشارك في طريق علمها لأنّهم لم يكونوا في زمن القصة ولا معرفة لهم بذلك الا من خلال النص، واختصرها لمن شارك في طريق علمها وهم اهل وقتها ويوسف عليه السلام نفسه صاحب الرؤيا قد قدمها لهم مختصرة...

وعلى ذلك فإن احسن ما جاء في هذا الباب ان هذه القصة قد اوردها القرآن الكريم بين الحقيقة الواقعية والحلم ثم اوجزها بالحلم وذلك بالمناقلة الحدثية بين عناصر الواقع وعناصر الرمز الحلمي. ولما كان الحلم كله رمزا لما في الواقع فإن عملية حل ترميزه فائقة الصعوبة إذ لا يقدر عليها الا صديق مثل يوسف عليه السلام الذي فككها بما وافق انطباقها فيما بعد على اديم الارض والواقع ولذلك سمي صديقا...ومن دلائل هذا الإيجاز في الحذف التضميني: قوله سبحانه وتعالى: (واوحينا إلى ام موسى ان ارضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا

تحزني انا رادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين)[29].قال البقاعي: (.. والآية من الاحتباك ، ذكر الارضاع اولا دليلا على تركه ثانيا، والخوف ثانيا دليلا على الامن اولا وسره انه ذكر المحبوب لها تقوية لقلبها وتسكينا لرعبها)[30].هنا الاحتباك النظامي والكلامي هو تشابك الأمر الالهي مع مراعاة عواطف الأمومة في قلب أم موسى، وعندها وقع تناقل في الإيجاز، فقد نصحها سبحانه بقذفه في اليم أولا ثم سهل لها بعد ذلك عملية رضاعه بتحريم المراضع عليه .. وذكر الارضاع حذف من موقع ولكن ضمَّن في موقع آخر على سبيل الاحتباك الكلامي والتناقل المعبري بين نصوص القرآن. ومما نقله السيوطي في إيجاز هذه الآية، قال: (قال ابن العربي: هي من اعظم آي القرآن في الفصاحة إذ فيها أمران ونهيان وخبران وبشارتان)[31].ويمكن ان يلحق بهذا النمط الإيجازي (التصريفي) ما يجري مجرى المثل من الفاظ القرآن، ويجمع (الاعجاب والإعجاز والإيجاز)[32] لأنّ المثل شاهد على الإيجاز (التثويري) كالقصة اذ يختصر في معنويته جملة من الاحداث القصية وهذا عين المسلك الايجازي، فهو ينطوي على الإيجاز في قيمته الأدبية والبلاغية، ولا ينفك عن تنوع أنماط الإيجازات الواردة فيه فمما اورده الثعالبي في هذا الفصل قوله تعالى: (ولا يحيق المكر السيء الا بأهله.)[33] و (إنما بغيكم على انفسكم)[34]... و(كل نفس ذائقة الموت)[35] و (لكل نبأ مستقر)[36].... الخ. وهذه حكم وجيزة يربطها بالمثل انها تتضمن معاني كثيرة جدا وتتنوع بتنوع مضرب المثل أي انها تتساير مع الزمن ولا يحبو مقباسها ابدا حاملة نبراسها الهادي للتي هي اقوم لأنّها من القرآن الكريم.السرد القصصي إذآ مقنن في القرآن على نحو اقتصادي كبير وفي عرض الومضات القصصية بحسب الحاجة والسياق مع العلم ان الفن القصصي به حاجة إلى الاسهاب ولكن القرآن يعرضه بومضات سريعة تجعل من الأنْثيالات القصّية مراكز عالية للتثوير والتكمن المعنوي. وآخر هذه الأنّماط الإيجازية في ضوء قصدية النص: (الإيجاز التصويري) وهوالإيجاز الذي يحتاج إلى آلية التصوير التخيلي لإنجاز مهمته لأنّه فوق عالم الطبيعة او المحسوس. من ذلك قوله تعالى: (... ربنا أفرغ علينا صبراً...)[37].يقول الدكتور ابو موسى ((انظر إلى قوله سبحانه.. (وكيف خيل التعبير ان الصبر ماء بارد يفرغ على قلوب المؤمنين فيذهب ما يجدون من حرّ الكرب والفزع في المواقف الصعبة(ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)[38])[39].الإيجاز التصويري هنا بتشبيه الصبر بالماء البارد على نحو الاستعارة وهذه الصورة كافية لاستشراف الحالة النفسية الدعائية المطلوبة وعندها نقول ان التصوير الذهني لازم للإيجاز لأنّ الصبر لا يمكن توصيفه بالافراغ - لأنّه ليس من الموائع الا تخيلاً..، فهذا الإيجاز تصويري لاستعماله آلية الذهن في التخيل والمقاربة.. ويقابله الإيجاز الحسي الذي لا نحتاج فيه إلى تخيل المتصورة لأنّ الحس يتعامل مع الواقع الملموس...وكذلك في قوله سبحانه وتعالى: (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ۞ وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون)[40]. فهنا تصوير إيجازي لصورة تقابلية ناطقة بالالوان، إذ يختصر اللون كيفية كاملة لنمطية جزائية موعودة.. وبما أن التقابل تضادي فإنه يشير إلى منطقتي الجحيم والنعيم بمدلول أهلهما وعندها (يرسم السياق مشهدا من المشاهد القرآنية الفائضة بالحركة والحيوية.. في وجوه وسمات)[41].وباستعمال الآلية التثويرية نجد ان هذه المدلولات اللونية صالحة لتثوير المعاني باتجاه المقاصد النهائية (جحيم ونعيم). وفي ضوء ما تقدم، فإنّ الإيجاز يسلك سلوكاً واعياً

بتنوعه فيكون بحسب الغاية التي يهدف النص إلى بلوغها ، او بعبارة ادق، يتنوع الإيجاز بحسب توجيه النص القرآني ولا ندري مغازي هذه التنوعات لأنّها من صميم الإعجاز.

2-تثويره وكشفه:

يتم تثوير الإيجاز وكشفه باستحراث لأرضية النص القرآني، ولما كانت هذه الارضية ذات مطالع وبطون، فلا يمكن الوصول إلى بطونها إلاّ بشق مطالعها.... وعندها يمكن استنباط الكامن من الظاهر استكمالا لما وراء الكلمات من معانٍ ودلالات بمعونة آليات اعجازية متعاضدة تنتهي بالعمق المطلوب، وعندها يتم توحيد التفسير وا لتأويل بمقولة واحدة هي مقولة التثوير أو التحريث.جاء في لسان العرب: (ثورت الامر: بحثته وثور القرآن: بحث عن معانيه وعن علمه، وفي حديث عبد الله: اثيروا القرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين ، وفي رواية: علم الأولين والآخرين، وفي حديث آخر: من اراد العلم فليثور القرآن قال شمر: تثوير القرآن قراءته ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه وقيل : لينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءاته..)[42].إذن، فالتثوير هو آلية محراثية لاستظهار ما استبطن وكشف خبايا النص وهو يرد بمعنى (التصريف) الذي هو أعلى منه، لذا نجد ان القرآن لا يستعمل (التثوير) بل (التصريف) كما يستعمل (الجريان) في الظواهر الفلكية.. إذ إن القاسم المشترك بين هذه الاستعمالات هو الحركة او اللاسكون الذي هو ديدن الحياة مع فارق المعنى. فبعد التثوير يمكن اجراء التصريف وكمشابهة أولية: نقول: بعد استقلاب باطن الأرض يتم تصريف الماء عليها لاستحلاب ثمرتها واستجلاب بركتها، فمثلا ان تصريف المعنى في الدلالات المختلفة (جاء في القرآن في غير قصة منها قصة موسى عليه السلام ذكرت في سورة الاعراف وفي طه والشعراء.. وغيرها لوجوه منها الحكمة، منها التصرف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة، ومنها تمكين العبرة والموعظة، ومنها حل الشبهة في المعجزة...)[43].وعلى ما تقدّم فإن إعمال الذهن واستنفاذ الجهد في التنقيب عن الفكرة قراءة وتفسيرا ومناقشة هما المحور المعتبر لاستنباط مكامن القرآن وفرائده؛ وهذا عين ما دعا اليه القرآن الكريم بالعملية التلازمية بين الذكر والمتذكر من قبيل قوله (أفلا يتدبرون[44]، لعلّكم تتفكرون[45]، لعلّكم تعقلون[46]). وهكذا يتكىء التثوير في مهماته على مثل هذه الآليات الذهنية البحثية والمنطقية وعندها فالمدار المحك عليه في تقليب النص القرآني لاستخراج وجوهه واستنباط معانيه وتدبر أسراره...لأنّ الذي يشترك في هذا الحدث التثويري القرآن العظيم بكوامنه المعجزة، والقارىء المتأمل المثوّر له. وان القول: ثوروا القرآن أو الأمر بتثويره اشارة بطريق غير مباشر إلى ان النص القرآني خصب وثر وعليه يجب حراثة ارضه لاقتطاف ثماره ويانعاته وبمعنى آخر يشير التثوير بالتلازم إلى ان هناك مكامن للثروة المعنوية اللانّهائية في بطون النص القرآني. ومن هذا الباب ما (روي عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حدّ ولكل حد مطلع)[47] إذ إن آلية التثوير تجهز لنا هذه المعطيات وتجعلها قابلة للبحث والتحليل من جميع الجهات على وفق شمولية تامة لكل الخزين المعرفي في الآية... وكان الامام علي عليه السلام هو الاقرب في التعبير عن التثوير وعلى نحو صريح باستحراث ارضية النص القرآني والتزامه قولا وعملا وسلوكا وهداية فقال: (في فضل القرآن): ((واعلموا انه شافع مشفع وقائل مصدق وانه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه فإنه ينادي مناد يوم القيامة: الا ان كل حارث مبتلي في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن فكونوا من حرثته واتباعه واستدلوه على ربكم واستنصحوه على انفسكم واتهموا عليه آراءكم

واستغشوا فيه أهواءكم..))[48].لذا فإنّ استبطان عمق النص واستخراج انجازاته البنيوية من خلال آليات متأملة عميقة مثل تعاضد التفسير والتأويل حول النص محاولة في تحقيق وحدة السياق التفسيرية والتطبيقية في ضوء التثوير السياقي وهذا ما أدّاه العلامة الطباطبائي حينما بنى تفسيره (على تفسير الآيات بالآيات وتحصيل معاني القرآن من القرآن وعلى هذا الاساس تقاس المعاني المستفادة من الخارج ويعلم مدى موافقتها او مخالفتها للقرآن..)[49].وفي ذلك يكون التكمن القرآني محطة وسطى في الطريق البلاغي يمكن استثمارها تثويريا باستشراف كل معانيها ظهورا واستجلاء وهنا يتم كشف النص الإيجازي بعملية تفاعلية بين القارىء والنص وهذا من التفاعل الذهني الذي تتشظى منه ألوان من آليات التعاطي الممكنة فيه ومنها الإيجاز والتصريف والطاقة المعنوية والاستثمار المستقبلي للنص. الإيجاز إذاً عنصر بنّاء في العملية التثويرية استقداما او تأخيرا أي أنّه يمكن ان يصيب بداية الآية او نهايتها و يكون مفعوله سحريا من جهتي التقليص المكاني والاقتصاد في الكلمات ومن جهة تحشيد أكبر كم ممكن من المعاني مرافقة لعملية التركيز وهذا في ضوء المنطق البشري متناف لأنّه في النص العادي (المعنى ملزوم المبنى) فإذا تقلصت عندنا المباني تقلصت بالتبع مضموناتها المعنوية، والقرآن الكريم كاسر لهذه القاعدة فكلما ضغط الحيز المكاني للنص تصاهرت به معانيه بشدة وتثورت بحساب ان القرآن لا يثبت على معان متقادمة في الزمن بل يتجدد ويتغير ويتثور في العقول والنفوس.. وعلى ذلك فالتقلبات التطورية للمعاني القرآنية هي عين التثوير الزماني والمكاني بلحاظي التفسير والتأويل...وسنقف عند عدة شواهد كاشفة لإيجاز التخصص التثويري، أي ان الإيجاز يتثور تخصصا بحسب هذه العناوين وموقعه فيها: فنقول: إنّ الإيجاز كان أكثر وضوحا على نحو مضطرد في السور المكيّة لأنّها كانت من السور القصار وإنّ الدعوة كانت في بدء انبثاقها وعدم حاجتها في الغالب إلى التفصيل الذي اصبح مهما عند الاستقرار المدني...قال تعالى في سورة الاعراف المكية: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)[50]. قال العلوي: (فهذه الكلمات على قصرها وتقارب اطرافها قد احتوت على جميع مكارم الاخلاق ومحامد الشيم وشريف الخصال....)[51].وقال تعالى في سورة البقرة المدنية : (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)[52]. فهنا إيجازان معنويان اولهما: بايراد (اولئك) اشارة دالة إلى مقصد القرآن وتوجهه الخطابي،والإيجاز الثاني الربح التجاري بالمنطق القرآني فهو إيجاز بديع لنفي الربح عما يظنه هؤلاء القوم الغافلون هو حقيقة الربح الوفير بمنطق الدنيا العاجلة فيكشف لهم القرآن حقيقة أوهامهم بقوله سبحانه (فما ربحت تجارتهم) لأنّهم هم الخاسرون حقا.ولمّا كانت القاعدة البلاغية للقرآن تتبع الإعجاز فإنّ كلا من السور المكية والمدنية لا تخلوان من إيجاز متناسب ومعنى معجز اتّساقا مع الحاجة البيانية والمطلب البلاغي. ومن هذه الموارد القرآنية التي كان هذا الإيجاز حاضرا فيها موارد العقائد والاحكام، وقد كان في الأولى أكثر لأنّ استحقاقها الاسهاب، وإنّ مجيئه فيها من الإعجاز، لأنّه استوجزها بشهادة الا اله الا الله والايمان بالله وبنبوة الأنّبياء وحقانية الكتب وباليوم الآخر..من ذلك نقف عند قوله تعالى: (... قل إنما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا واليه مآب)[53]. قال الفخر الرازي: (...ثم إنّه تعالى لما بين هذا جمع كل ما يحتاج المرء اليه في معرفة المبدأ والمعاد في الفاظ قليلة منه فقال: (قل إنما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا واليه مآب) وهذا الكلام جامع لكل ما ورد التكليف به...)[54]. فهذه المنطقة إذآ تستلزم الإيجاز على نحو مركز لأنّها في حقيقتها لا تستوعبها

الطوامير ان شرحت لتعمقها وصعوبة مغاورها في الذهن البشري ولكن كما قلنا، يستوعبها القرآن بأوجز عبارة وأدل اشارة؛ والإعجاز يتناوش الاثنين بكل كفاية ومقدرة أي بالإعجاز العباري يتألق وبالاشاري يتثور اشارة ودلالة. اما في الاحكام فإيجاز في مكان وعدم ذكر في آخر واستطراد بنمط ثالث وهكذا تتموج الحكمة الإلهيّة بادوات الإيجاز والاسهاب وما بينهما.. ومن ذلك نقف في هذا المورد عند قوله سبحانه وتعالى: (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون..)[55]. قال البقاعي: (ولما بين تعإلى فضل هذا القرآن بما يقطع حجتهم وكان قد قدم فضل من يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم أخذ يبين اتصاف القرآن ببيان كل شيء وتضمنه لذلك الطريق الاقوم فقال تعإلى جامعا لما يتصل بالتكاليف فرضا ونفلاً وما يتصل بالاخلاق والآداب عموما وخصوصا)[56]. إن هاهنا نسقا آخر من الوجازة الإعجازية هو في جنبة الاحكام إذ نستشف اللمحات من خلالها على نحو تشريعي بحت وهو ذو نكهة فقهية يمكن اشتقاق كثير من التأصيلات الشرعية من نص قرآني ربما لا يتعدى ثلاث كلمات من قبيل قوله تعالى: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا...)[57] الذي جمع الطب كله في هذه الكلمات الثلاث بأوجز عبارة وأخصر إشارة. أمّا في الآيات الكونية والظواهر العلمية مثل الليل والنهار والشمس والقمر فإنّ الاسهاب حاضر قوي، ولكن ليس على طول الخط، فقد نلحظ بعض الظواهر قد أوجزت وذكرت مرة واحدة كما نلحظ الحركة المتأرجحة في إيرادات الظاهرة الكونية في المنطقة العلمية. ومن هنا يتجلى الإيجاز الإعجازي على نحو تركيز قانوني لعدة نواميس كونية في ظاهرة واحدة وهو الإعجاز بعينه كما هو الحال في استيضاحات الآيات حول الليل والنهار، فهي متفجرة للمتمعن المتدبر بظلال علمية تتبدى منها علوم تثويريّة قد تخرج عن نطاق ظاهرة الليل والنهار المتعارفة. من ذلك نقف عند آية تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان في ضوء الإيجاز التثويري لقوله سبحانه وتعالى: (الشمس والقمر بحسبان)[58]. يتمثل الإيجاز التثويري في هذه الآية على نحو مفعم لأنّها ثلاث كلمات تتحمل اكثر من عشرين وجها تفسيريا بحسب وجهة النظر إلى دلالة كلمة (حسبان)، والحسبان: المقايسة الدقيقة والإحكام الحركي المنضبط من دون الخروج عن نواميس الكون والطبيعة، .. ولمّا كان ارتباط النيرين بكلمة (حسبان) عن طريق حرف الجر (الباء) فإنّ ذلك يعطي ظلالا اعجازية رهيبة للمشهد تتجلى في ان التقدير الحركي للنيرين مرتبط بالحسبان واسطة ومآلا، لأنّ الباء للواسطة. ومن الوجوه المحتملة التي يثورها النص لدلالة (حسبان)، هو حساب الايام والشهور والسنين ، وهذا فعلا يتحصل من حركة الشمس والقمر، ووجه آخر للحسبان: هو الاتقان؛ أي أنّ هذه الصنعة الفلكية معجزة الهية لخدمة الناس.. ووجه آخر بمعنى: التسخير؛ أي أنّ هذين النيرين مسخران بالأنّضباط لإدامة الحياة على نحو جيد على كوكب الأرض[59]. وبعد فإنّ كل ما تقدم يحقق الإيجاز التثويري، لأنّ الإيجاز يتطلب تثويرا، والتثوير يستدعي إيجازا.. وعندها نلحظ ان النص.لو كان مسهبا لما أمكن تثويره، لأنّه معروض بالحالة الثورية، وهذا مما يستلزم ان الاستبطان الغيبي وسر الإعجاز يتطلبان استبصارا وتمعنا وتنقيبا شديداً حول وجوه المعنى المختلفة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الإيجاز على ظاهره قد يبدو ماحيا لطاقة المعاني الكامنة ولكن بالاستثمار التثويري وتحريث أرض القرآن بالعقل الواعي المتدبر نستحصل على الطاقات الكامنة المكنونة. فالقرآن كما وصف أنه (صامت ناطق)[60]، فبلحاظ صمته تلزم حاجته إلى التثوير، وبلحاظ ناطقيته يكون هو مركز الحق وما عداه لغو باطل....وعندها نخلص إلى ان (الإعجاز هو عين الإيجاز) بلحاظ تقصد القرآن له بكل مكان وإمكان.

3-بلاغته واعجازه:

إنّ البلاغة عنصر تلقائي ناتج من عمليتي التركيز والتفجر المعنوي للقرآن ولما كان ذلك بخلاف المقولة المنطقية لتباينه -كما تقدم- فقد انتج بلاغة غير عادية (معجزة) تصاحب النص المركز أو الوجيز.وقد وقف الشيخ عبد القاهر الجرجاني عند البناء البياني لمعاني القرآن كاشفا عن دليل الإعجاز ورادّا على المعتزلة فقال: (أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادىء آيه ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام وتذكير وترغيب وترهيب ومع كل حجة وبرهان وصفة وتبيان...)[61]. وهكذا تستلمح اوجه الإعجاز النصي في ثلاثة مقومات. أولها..الإيجاز الشديد بالتركيز والتقليص، وثانيها: تفجر عظيم في الثروة المعنوية، وثالثها: بلاغة معجزة لا يمكن الاتيان بمثلها..وعندها فلا بينونة زمانية بين هذه المقومات، لأنّ الإيجاز هو عين التثوير (الإعجاز) وكلاهما عين البلاغة من وجه آخر والتساوي في المعادلة له عدّة انطباعات منها: ان الايجاز هو الكينونة المركزية في البيان والوضوح والاشراق والقرآن يستحوذ على أعلى مراتبه في ذلك، ومنها: أن الايجاز يحشد المعاني ويركزها نظرا لطبيعته البنيوية فهو خلاف بقية الأساليب اذ لا تتهرب المعاني نتيجة ذلك التركيز بل أنه يحشدها ويكمنها في طاقة تثويرية استقبالية...او بمعنى تحليلي: ان الإيجاز والتثوير من السمات الذاتية للقرآن وهي بطبيعة الحال لا تنفك عنه بالنص وملحقاته... (فكل آية في القرآن وراءها آفاق رحبة يقرأ فيها القلب كلاماً غير مذكور يجري بمحاذاة الكلام المذكور...)[62] هذا من جهة ومن جهة أخرى كما يقول الرافعي رحمه الله: ((فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه لأنّه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في اعجاز جملته اعجازا أبديا فهو أمر فوق الطبيعة الانسانية وفوق ما يتسبب إليه الإنسان إذ هو يشبه الخلق الحي تمام المشابهة وما أنزله الا الذي يعلم (السر) في السماوات والأرض...))[63]. وإذا ما تصالحنا على أنّ الإيجاز في القرآن نمط خاص يختلف عن الإيجاز الاعتيادي فهذا قد يجرنا إلى احتمال ايجاد تعريف جديد للإيجاز القرآني قد يخرجه عن نطاق البلاغة إلى آفاق غيبية سرية وهو الإيجاز السري .. فقد قال العلماء إنّ ما تفيده الاشارة استدلالا اضعاف ما تفيده العبارة، وانطلاقا من هذه المقولة نقول: إنّ الإيجاز السري اشاري وعباري، إذ أورد القرآن اسماء الاشارة في العقائد والتوحيد المحض وبما يشير إلى مكانتها في الاستدلال السلوكي او العرفاني..، واعتقد ان هذا الجانب التثويري للإيجاز هو الأكثر غورا والابعد منالاً على المتأملين والمتدبرين.. لأنّه افتقد مرتبته المعنوية البيانية التي تسفر عن وجه اعجازه. نقف عند التركيز الدلالي الناصع للإيجاز لبيان بلاغته واعجازه في قوله سبحانه وتعالى: (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيظ الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين)[64]. قال الزمخشري: (...ولمّا ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لهم رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله (ابلعي) و (اقلعي) وذلك وإن كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن ا لتي هي اللب وما عداها قشور...)[65]. هناك إذاً أحداث متلاهثة في السرعة ومشبعة بالزخم الإعجازي مع تحفظها بالإيجاز المكاني (بقلة عدد الكلمات الواردة فيها) وهذا التسارع يفضي تلقائيا إلى الإيجاز النصي مع التوسع في السرد الحدثي.. وبهذين التوجيهين (الإبلاع والإقلاع) انتهت قصة الطوفان فما أوجز هذا

التعبير وما اكبر هذا التصوير لقصة كاملة في فعلين(مولويين) للأرض والسفينة..قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني: (وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى {الآية}: فتجلى لك منها الإعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع انك لم تجد ماوجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة الا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وان لم يعرض لها الحسن والشرف الا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا إلى ان تستقريها إلى آخرها وإن الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها؟ .. أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من اقطارها تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟)(66)*. هذا الاتساق العجيب إذآ هو الأنّسجام والتناغم والتآلف وهذه كلها سمات بارزة في صياغة النص القرآني وفرائد اعجازه..؛ سوراوآيات على حد سواء.

ولمّا كان القرآن بمجمله كتابا شديد الإيجاز وهذا ما يستشعره المتعقل الذي يدركه بعقلانية فضلا عن المتنفل الذي يأخذه تعبّداً، فإن القدرة على إيجاز سورة لهي أشد تمكنا وأبعد أثراً من تلك التي هيمنت على إيجاز آية وان كان إيجاز الاثنتين من قادر واحد وآمر فارد سبحانه وتعالى. وإذا كان الإيجاز في السورة أوقع فهو في الآية اوضح، لأنّ الآية لها ما بعدها بما يساعد على استشراف معانيها أمّا عند انتهاء السورة فينتصب سور بينها وبين الآتية بعدها وعندئذ تبقى كيانات السور مستقلة وان كانت هناك معابر كاشفة ومجارٍ اعجازية تربط النصوص كلها في نظام واحد متفرد.. من حيث النظم والاسلوب والجزالة. فما نقله القرطبي عن ابن الحصار في حديثه عن وجوه الإعجاز قوله: (وهذه الثلاثة من النظم والأسلوب والجزالة لازمة كل سورة بلى هي لازمة كل آية وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر وبها وقع التحدي والتعجيز، ومع هذا فكل سورة تنفرد بهذه الثلاثة من غير ان يضاف اليها امر آخر من الوجوه العشرة، فهذه سورة (الكوثر) ثلاث آيات قصار وهي اقصر سورة في القرآن وقد تضمنت الاخبار عن مغيبين: احدهما : الاخبار عن الكوثر وعظمه وسعته وكثرة اوانيه وذلك يدل على ان المصدقين به اكثر من اتباع سائر الرسل والثاني الاخبار عن الوليد بن المغيرة وقد كان عند نزول الآية ذا مال وولد على ما يقتضيه قول الحق: (ذرني ومن خلقت وحيدا ﴿﴾ وجعلت له مالا ممدودا ﴿﴾ وبنين شهودا ﴿﴾ ومهدت له تمهيدا.){المدثر: 11-14}، ثم اهلك الله سبحانه ماله وولده وانقطع نسله)(67). وبالوقوف عند هذه الثلاثة التي هي لازمة كل سورة بل كل آية وموقع الإيجاز فيها , نقول:إن الإيجاز هو أحد مفاتيح النظم، الذي يمكن ان يكون نظما مسهبا له مواقعه ويمكن ان يكون نظما موجزا وهو اشد اثرا وابرع بلاغة وارشق بيانا ذلك انه خلو من حشو الكلام. اما الاسلوب الذي تتسلسل فيه الكلمات فهو يمثل طريقة النظم والصياغة إذ يمكن من خلاله تحري الطريقة المثلى للوصول إلى مطالب الكلام، وعندها فهو الموجه في اداء الإيجاز الذي يكون مؤشرا دلاليا له فهما لا ينفكان في وحدة النص. واللازمة الثالثة تكمن في الجزالة وهي تعبير آخر لقوة الكلمات وبلاغة النص لما لها من مسيس الصلة بالإيجاز ذلك أنّنا لو بلغنا مقصدا ما بعشر كلمات ثم بلغناه بخمس كلمات لكان الثاني اجزل من الأول، لأن الادراك الصحيح هو الذي يُيسّر استشراف المعنى ومصداق ذلك في الخطاب القرآني اذ خاطب الله سبحانه وتعالى العرب والأعراب على نحو الايجاز والحذف وخاطب بني اسرائيل (أو حكى عنهم) على نحو البسط والاسهاب وهذا من المراعاة الخفية اللطيفة على وفق مقتضى الحال والاحاطة بوجوه البيان(68).. ومن هنا فالجزالة تعبير دلالي على وجازة النص في الوصول إلى المطلوب ؛ وهذا لا يتضارب مع اسلوب الكتاب العزيز (وان كانت

آيه كلها معجزة باهرة وسوره في جليل النظم وبديع التأليف قاطعة بالخصوم قاهرة، فبعضها أوضح من بعض في تبين اعجازها وتظاهر بلاغتها وإيجازها..)[69]وتعد سورة الكوثر وهي الاقصر بين سور القرآن متميزة بهذه الوجوه الإعجازية لا نها ذات إيجاز مركز لافت وان لم تكن متفردة عن سور القرآن قاطبة فإنها مع إيجازها النصي او حيزها الكلماتي القليل فهي زاخرة ومفعمة باستطالة معنوية متجددة كبقية سور القرآن من الاعماق والبطون.وعلى ما تقدم فالايجاز القرآني ذو مراتب متفاوته اذ لا يقدح هذا التفاوت في تمامية المطلب من الايجاز بوصفه كلاّ قرآنيا مسخرا في خدمة النص من باب قوله سبحانه وتعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)[70]، ((فلا عجب ان ظهرت طريقة القرآن بالكلمات القليلة منها على جملة اللغة بما وسعت ولا بدع ان يكون التحدي من هذه الطريقة بمثل تلك الكلمات على قلتها (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)[71].))[72] فشمولية الكتاب مستوفاة في ايجاز كلماته واختصار مراداته وهو مستوف ومحكم لكل امور اللغة بما يتناوله من موضوعات ومضمونات وهذا هو الاعجاز بعينه، ولما كانت هذه الشمولية عين الايجاز فأصبح ايجازه باعجاز.. وعندها يستوجب مبدأ اللاتفريط في هذا الباب، تواجد التفاوت في مستوياته بما لا يخل وأغراضه العامة والخاصة هذا أولا، وثانيا: ان هذا الايجاز يتكامل عفويا مع بقية عناصر البلاغة بإبانة الدلالات والكشف عن المعاني...

الخاتمة ونتائج البحث

وبعد: فقد رصد البحث النتائج الآتية:

-1- إنّ الإيجاز في القرآن ذو حركة متفردة فهو ينبسط في بعض المواقع ايضاحا لمواقع أخر وذلك من مصاديق الكشافية المتبادلة بين آيات القرآن..، فعملية التواشج التفسيري المتعاضد هذه داخل نسيج القرآن هي بحد ذاتها وظيفة تثويرية تلقائية وعندها يعد المحور الرئيس للإعجاز لأنّه يتضمن القدرة الفاعلة على بلوغ المقاصد بأيسر السبل واقصر الطرق وادق العبارات.

-2- إنّ التثوير بما هو سمة اعجازية مرتبط بالإيجاز بما هو سمة نصية وكلاهما له عائدية شرعية إلى القرآن – الذي هو اساس كل شيء- لذا فتثويره هو مسبب لتألقهما على نحو جلي في ظواهره الإعجازية، لأنّ التثوير عملية استقلاب ارضية النص لاستثمار كامل طاقاته البيانية ولكشف النقاب عن دلائله الإيجازية ودقائقه الإعجازية.

-3- يكون للإيجاز مدخلية فعالة في الحركة التثويرية للنص وهذا ما يطلق عليه القرآن عدة إطلاقات منها: (التصريف، والأنّطلاق، والاتباع السببي) وغيرها، فهذه الحركة واطلاقاتها ميزة رئيسة ومهمة للظاهرة التثويرية المنضبطة والملتزمة في النص وهي تخادن مصطلحات (التعقل والتفكر، والتدبر، والتذكر) بما يصب كله او جله في بوتقة الايمان المرتقية إلى سدة الرحمن الأعلى.

-4- يمثل اعجاز القرآن إيجازا بتثوير أي أنه إيجاز غير مخل يحمل ثراءِ معنوياً متجددا بمعنى أن القرآن كلما تقاصر استثرى اما بالنسبة للنسق البشري فقد يكون الإيجاز قادحا للثراء في ذلك النسق لأنّ القصة الطويلة -كما تبدو- اوفر معاني من القصيرة.

-5- يجب أن يقابل إيجاز القرآن بنقيضه (الاسهاب) عند التحليل النصي لأنّ البنية القرآنية تعتمد على توازن المتقابلات وانسجامها، لأنّ السمات الاسلوبية تكون بينة بأضدادها، وعندها يجب استيفاء الإسهاب لتكمل صورة

الإيجاز، فهناك مثلا أربعون تكرارا لقصة موسى عليه السلام في حين لم تذكر قصة يوسف عليه السلام الا مرة واحدة وهذا من الحكمة البيانية.

-6- نهج اعجاز القرآن آلية الإيجاز لتضييق المجال على المتحدي أكثر فأكثر أي سد الباب بالمرّة على المحاول المجاحد المتطاول في مجال الإعجاز، وبذا فالإيجاز اداة اعجازية صادة في مجابهة المحاولات المبتورة لذوي العقول السطحية بتضييق الخناق عليهم في المجالين النصي والبلاغي.

-7- قيل: إن القرآن هو إيجاز للوجود لأنّه يمثل الكتاب التدويني الذي هو قبال التكويني وهو الكون وأجد أنّ الاكثر دقة ألاّ نسميه (إيجازا) بل في الناحية الوجودية نسميه (اختصارا) فالكتاب المبين اختصار انيق للكتاب الكوني ككل والدليل أن فيه تبيان كل شيء والكون فيه كل شيء وجوداً والقرآن تبيان لهذا الوجود في ضوء مقولة أنّ التدويني على وفق التكويني، فلا يمكن الاتيان بمثلهما بحسب النص القرآني.

-8- يستعمل القرآن مواقع الحذف التضميني للمناقلة المعنوية في ضوء معادلة جمع النقائض من خلال النسق الإيجازي لأنّ ذلك لا يتعصّى على القرآن فهو قادر على الحذف ولكن لا يعدم المحذوف بل ينقله إلى سياق جواري آخر مع الاحتفاظ بالاحتباك الدلالي والاشتراك المعنوي فيما بين موقعي الانتقال.

الهوامش والاحالات

(1) لسان العرب مادة (وجز)، 5/427.

(2) الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ص245.

(3) ينظر: شروح التلخيص، 3/163-164.

(4) سورة هود/ الآية 81.

(5) نهج البلاغة، ص254.

(6) النكت في اعجاز القرآن ، للرماني، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، ص80.

(7) الإعجاز البلاغي، ص90.

(8) سورة البقرة / الآية 179.

(9) تفسير الكشاف 1/220-221.

(10) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) 5/62.

(11) الإعجاز البلاغي ، ص90.

(12) سورة الأنعام / الآية 82، وتمام الآية: (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون).

(13) خصائص التراكيب، ص159.

(14) تاريخ القرآن، ص34.

(15) سورة الاسراء/ الآية 24.

(16) الخصائص، 2/140.

(17) الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ص246.

(18) خصائص التراكيب، ص219.

(19) سورة يوسف/ الآية 82.

(20) سورة الشورى/ الآية 11.

(21) سورة يوسف/ الآية 83.

(22) كتاب اسرار البلاغة (الفهرس) ص547-548؛ وينظر : المقدر المحذوف مسندا أو مسندا اليه في: خصائص التراكيب ص221.

(23) الجامع لأحكام القرآن 1/109.

(24) سورة ق/ الآيتان 1-2.

(25) الخصائص 2/78-79.

(26) سورة الشعراء / الآية 227.

(27) اعجاز القرآن ص298-299.

(28) بديع القرآن ، ص198.

(29) سورة القصص/ الآية 7.

(30) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، 5/466.

(31) معترك الاقران في اعجاز القرآن 1/226.

(32) الإعجاز والإيجاز، ص14.

(33) سورة فاطر/ الآية 43.

(34) سورة يونس/ الآية 23.

(35) سورة آل عمران/ الآية185؛ سورة الأنّبياء/ الآية 35؛ سورة العنكبوت/الآية 57.

(36) سورة الأنّعام/ الآية 67.

(37) سورة البقرة / الآية 250.

(38) سورة البقرة / تمام الآية 250.

(39) التصوير البياني ، ص301.

(40) سورة آل عمران / الآيتان 106-107.

(41) في ظلال القرآن ، 4/445.

(42) لسان العرب (ثور)، 4/110.

(43) النكت في اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن) ص101-102.

(44) كقوله تعإلى: (أفلا يتدبرون القرآن) سورة النساء/ الآية 82 وقوله تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر) ثلاث مرات في سورة القمر/ الآيات 17، 22، 32.

(45) كقوله تعإلى: (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) سورة البقرة / الآية 219.

(46) كقوله تعإلى: (انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) سورة يوسف/ الآية 2.

(47) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 1/8.

(48) نهج البلاغة ص252.

(49) الشمس الساطعة ص59-60. وينظر: (الميزان في تفسير القرآن) - المقدمة- ص11.

(50) الآية 199.

(51) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ص245.

(52) سورة البقرة/ الآية 16.

(53) سورة الرعد/ الآية 36.

(54) التفسير الكبير 19/60.

(55) سورة النحل/ الآية 90.

(56) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 4/303.

(57) سورة الأعراف / الآية 31.

(58) سورة الرحمن /الآية 5.

(59) ينظر في هذه الوجوه: التفسير الكبير 29/86-88، ونظم الدرر 7/374-375.

(60) نهج البلاغة ص266.

(61) كتاب دلائل الإعجاز ص39؛ وينظر: مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني ص197.

(62) الاعجاز البلاغي: ص97: 98.

(63) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص211.

(64) سورة هود/ الآية 44.

(65) تفسير الكشاف، 2/383.

(66) كتاب دلائل الإعجاز، ص45-46.

* إنّ من مناسبات هذه الآية أنها تقع في سورة هود وقد فصّلت قوله تعالى: (فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) في سورة يونس الآية /73، اذ سبقت هذه هوداً في ترتيب المصحف وهذا من اللطائف والاسرار بين معاني السور المتجاورة وهي تحمل كشفاً تبادليا وتثويراً تلقائيا.. ينظر: مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني: ص238-239.

(67) الجامع لأحكام القرآن 1/53.

(68) الحيوان 1/ 94.

(69) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 7/372.

(70) سورة الأنّعام/ الآية 38.

(71) سورة الانعام / الآية 115.

(72) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ص273.

كشاف المصادر والمراجع

- خير مانبتدىء به القرآن الكريم.
- الإعجاز البلاغي: (دراسة تحليلية لتراث اهل العلم): د. محمد محمد ابو موسى (ط1) مطابع المختار الاسلامي - نشر مكتبة وهبة 1405هـ- 1984م.
- إعجاز القرآن: لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلأنّي/ تحقيق: السيد أحمد صقر/ دار المعارف - مصر.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: تأليف مصطفى صادق الرافعي، (ط9) - دار الكتاب العربي- بيروت . لبنان/ 1393هـ-1973.
- الإعجاز والإيجاز: لأبي منصور الثعالبي، (ط2) - دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، 1403هـ - 1983.
- بديع القرآن: لأبن أبي الاصبع المصري - تقديم وتحقيق حفني محمد شرف (ط1)- نهضة مصر 1377هـ - 1957م.
- تاريخ القرآن: الدكتور عبد الصبور شاهين (ط2) شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - مصر، 2006م.
- التصوير البياني: (دراسة تحليلية لمسائل البيان): دكتور محمد أبو موسى (ط2)، دار التضامن للطباعة - القاهرة / 1400هـ - 1980.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): للامام الفخر الرازي (ط3) مطبعة مكتب الاعلام الاسلامية ، 1411هـ.ق.
- تفسير الكشاف: (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل) للإمام جار الله محمود الزمخشري - وبحواشيه اربعة كتب - رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين - (ط 3) - دار الكتب العلمية 2003م - 1424هـ.
- الجامع لاحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن احمد الأنّصاري ت 671هـ، تحقيق سالم مصطفى البدري (ط2) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، 2004م - 1424هـ.
- الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ/ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (ط1) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - بمصر 1356هـ - 1938م.
- الخصائص: تأليف أبي الفتح عثمان بن جني ت392هـ، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي (ط2) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، 2003م- 1424هـ.
- خصائص التراكيب: (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني): الدكتور محمد ابو موسى (ط2) دار التضامن للطباعة ، مصر ، 1400هـ - 1980م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - لأبي الثناء شهاب الدين الآلوسي (ت 1270هـ) - ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية (ط2) دار الكتب العلمية - بيروت 2005م - 1426هـ.
- شروح التلخيص: (وهي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني) (ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي)(وعروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي) (ط4) مؤسسة دار البيان العربي للطباعة والنشر - بيروت 1412هـ/ 1992.
- الشمس الساطعة: تأليف آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني (تعريب: السيد عباس نور الدين وعبد الرحيم مبارك) (ط1) دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر 1417هـ 1997.
- في ظلال القرآن: بقلم سيد قطب (ط9) ، مطبعة دار الشروق، د.ت.
- كتاب اسرار البلاغة : للشيخ الامام ابي بكر عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر - (ط1) مطبعة المدني / المؤسسة السعودية بمصر 1412هـ - 1991.
- كتاب دلائل الإعجاز: للشيخ الامام ابي بكر عبد القاهر الجرجاني قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر (ط5) الشركة الدولية للطباعة - القاهرة 1424هـ - 2004م.
- كتاب الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: تاليف: السيد الامام يحيى بن حمزة العلوي، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين (ط1) - دار الكتب العلمية - بيروت 1415هـ - 1995.
- لسان العرب : للأمام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري/ دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر (مشترك) - 1956- 1375هـ.
- مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني: د.محمد محمد ابو موسى، دار التضامن للطباعة (ط1) مكتبة وهبة للنشر/ مصر ، 1418هـ - 1998.
- معترك الاقران في اعجاز القرآن: للعلامة أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي- ضبطه وصححه وكتب فهارسه: احمد شمس الدين- (ط1)- دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان ، 1408هـ - 1988.
- الميزان في تفسير القرآن: للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، صححه واشرف على طباعته:الشيخ حسين الأعلمي - (ط1) المحققة - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات -بيروت- 1417هـ - 1997.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للأمام برهان الدين ابي الحسن البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي (ط2) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، 1424هـ - 2003م.
- النكت في اعجاز القرآن: لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، ت 386هـ - ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام (ط3) دار المعارف -مصر-.
- نهج البلاغة : للأمام علي بن ابي طالب عليه السلام، جمعه الشريف الرضي، تقديم وشرح الشيخ محمد عبده (ط1) مؤسسة المختار - القاهرة - 1427هـ - 2006م.